عقيدة الإمام
أبي عبد الله محمد بن إدريس
الشافعي

(١٥٠ - ٢٠٤هـ)

تأليف

تأليف الدكتور / محمد بن عبد الرحمن الخُمَيِّس

ح) دار طيبة للنشر والتوزيع ، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخميس، محمد بن عبدالرحمن

عقيدة الإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي. - الرياض.

٨٨ ص ؛ ١٧ X ٢٤ سم

ردمك: ٦-٣٢-٨٠٠-٩٩٦٠

١- الفقه الشافعي

أ - العنوان

ديوي ٢٥٨,٣ ١٩/٠٧٩٨

رقم الإيداع: ١٩/٠٧٩٨

ردمك: ٦-٣٢-٨٠٠-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار طيبة للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض - السويدي - ش. السويدي العام - غرب النفق

ص.ب: ٧٦١٢ - رمز بريدي: ١١٤٧٢ - ت: ٤٢٥٣٧٣٧ - فاكس: ٤٢٥٨٢٧٧

المقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي، له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾.

[الأحزاب: ٧٠]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

فهذا هو الكتاب الثالث من سلسلة: **«عقائد أئمة السلف»** وذلك بعد ذكر عقيدة أبي حنيفة ومالك رحمهما الله تعالى، وفيه بيان لعقيدة الإمام الشافعي رحمه الله، في مسائل التوحيد والإيمان والقدر والقرآن والصحابة، وذم الكلام والبدع، ومعه بيان ما حذر منه هو وأتباعه - رحمهم الله تعالى - من وسائل الشرك وأنواعه، وقد أتبعت كل مبحث بذكر خلاصة فيها مجمل ما في المبحث، ومعها أسئلة للمناقشة؛ لتتم بها الفائدة، وعسى أن ينفع الله به، وأن يجعل له القبول إنه جواد كريم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بقلم

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

المبحث الأول

عقيدته في التوحيد

تكلم الشافعي رحمه الله تعالى كما تكلم غيره من الأئمة في إثبات توحيد الله تعالى بأنواعه وكذلك في توحيد الأسماء والصفات على ما أثبتته النصوص الصحيحة الثابتة، وكذلك في إثبات العلو والكلام والاستواء وغيرها من الصفات الإلهية، كما في النصوص الآتية، فمنها:

الحلف بالله:

(١) أخرج البيهقي عن الربيع بن سليمان قال: «قال الشافعي: من حلف بالله أو باسم من أسمائه فحنث فعليه الكفارة، ومن حلف بشيء غير الله مثل أن يقول الرجل: والكعبة وأبي وكذا وكذا ما كان، فحنث فلا كفارة عليه، ومثل ذلك قوله: لعمري.. لا كفارة عليه ويمين بغير الله فهي مكروهة منهي عنها من قِبَلِ قول الرسول ﷺ:

«إن الله عزّ وجلَّ نهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا فليحلفْ بالله أو ليسكت»[١]. . .»[٢].

أسماء الله غير مخلوقة:

وعلل الشافعي لذلك بأن أسماء الله غير مخلوقة، فمن حلف باسم الله فحنث فعليه الكفارة[٣].

التعليق على هذا النص:

قلت: يدل هذا النص المبارك من هذا الإمام العظيم على مسائل مهمة في العقيدة:

الأولى: أن الله تعالى له أسماء يجب الإيمان بها بلا تمثيل، وهذا رد على الجهمية الأولى.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم (١١/ ٥٣٠)، ومسلم في كتاب الإيمان باب النهي عن الحلف بغير الله (٣/ ١٢٦٦) ح (١٦٤٦).

(٢) مناقب الشافعي (١/ ٤٠٥).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي ص ١٩٣، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ١١٢، ١١٣)، والبيهقي في السُّنن الكبرى (١٠/ ٢٨)، وفي الأسماء والصفات ص ٢٥٥، ٢٥٦، وذكره البغوي في شرح السنة (١/ ١٨٨)، وانظر العلو ص ١٢١، ومختصره ص ٧٧.

الثانية: أن أسماء الله تعالى حسنى لأنها تدل على صفات كمال، فلا يجوز تعطيلها، كما فعلت المعتزلة حيث آمنوا بها مجردة عن المعاني الحسنة التي هي صفات الله تعالى، أو كما فعل الماتريدية والأشعرية حيث عطلوا معاني بعض تلك الأسماء لأجل تعطيلهم لبعض الصفات، كالعلي والرحيم والودود، لتعطيلهم العلو والرحمة، والمحبة.

الثالثة: أن أسماء الله تعالى غير مخلوقة لأنها من كلامه تعالى وكلامه غير مخلوق، وهذا رد على الجهمية من المعتزلة والماتريدية والأشعرية جميعا؛ حيث قالوا ببدعة القول بخلق القرآن وبدعة القول بخلق أسماء الله تعالى، وكل هذا كفر عند سلف هذه الأمة وأئمة السنة.

الرابعة: جواز الحلف بالله تعالى وأسمائه وصفاته؛ لأن الله تعالى بأسمائه وصفاته غير مخلوق.

الخامسة: عدم جواز الحلف بغير الله تعالى لأنه شرك وكفر كما في الحديث الصحيح.

هذا ومما يؤسف له أن كثيراً من الناس في هذا الزمان يقع في الحلف بغير الله تعالى، مع ورود النهي الشديد عنه، ومع أن جميع الأئمة قد حذروا من ذلك، ونهوا عنه

إثباتًا للنصوص الواردة في ذلك والتي تحذر من الحلف بغير الله.

الإقـرار بالشـهادتين وصفات العلـو والنزول والقرب:

(٢) وأورد ابن القيم في اجتماع الجيوش عن الشافعي أنه قال: «القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما، الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يَقْرُب من خلقه كيف شاء، وأن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء»[١].

التعليق على هذا النص المبارك:

قلت: هذا النص المبارك من هذا الإمام العظيم يدل دلالة قاطعة على أمور ومسائل مهمة هي:

الأولى: أن أول الواجب على المكلف الشهادتان: شهادة

---

(١) رواه ابن قدامة في إثبات صفة العلو ١٨٠، والذهبي في العلو ١٢٠، وانظر مجموع الفتاوى ٤ /١٨١ - ١٨٣، واجتماع الجيوش ١٦٥، ومختصر العلو ١٧٦.

التوحيد وشهادة الرسالة، لا الشك ولا النظر العقلي والقصد إلى النظر كما يقوله أرباب الكلام من المعتزلة والماتريدية والأشعرية.

الثانية: إثبات علو الله تعالى على عرشه وفوقيته على عبادة كما يدل عليه أنواع من البراهين القاطعة والحجج الساطعة من النقل والعقل والإجماع والفطرة. وهذا رد على الجهمية المعطلة من المعتزلة والماتريدية والأشعرية، المعطلين لعو الله تعالى والمحرفين لنصوصه، والقائلين: إن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه ولا فوقه ولا تحته ولا يمينه ولا شماله ولا خلفه ولا قدامه، فهم أهل الجحود، وهذا كفر عند السلف.

الثالثة: نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا كيف يشاء، وهذا رد أيضاً على هؤلاء المعطلة من المعتزلة والماتريدية والأشعرية فهم معطلون لصفة النزول ومحرفون لنصوصها.

الرابعة: أن الله تعالى مع كونه فوق خلقه عالياً على عرشه قريب من خلقه، فلا منافاة بين علوه على عرشه وقربه من خلقه.

الخامسة: أنه يستفاد من تلك العبارة للشافعي، أن كلمة «السنة» كانت تطلق عند السلف كثيراً ويراد منها مسائل العقيدة، التي هي مسائل أصول الدين.

السادسة: أنه يستفاد منها كذلك أن مصطلح «**أهل الحديث**» كان معروفاً كذلك عندهم وأنه مرادف لقولنا الآن: «**أهل السنة والجماعة**» ولهذا ينبغي على الناس الحرص على إحياء هذا الاسم، وخصوصا طلبة العلم والباحثين ونحوهم.

عدم التكلف والتعمق في البحث في أمور التوحيد التي لا يبلغها العقل:

(٣) وأورد الذهبي عن المزني قال: «قلت»: إن كان أحد يُخرج ما في ضميري وما تعلق به خاطري من أمر التوحيد فالشافعي؛ فصرت إليه وهو في مسجد مصر، فلما جثوتُ بين يديه قلت: هجس في ضميري مسألة في التوحيد، فعلمت أن أحداً لا يعلم علمك فما الذي عندك؟ فغضب، ثم قال: أتدري أين أنت؟ قلت: نعم. قال: هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون، أبَلَغَك أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك؟ قلت: لا، قال: هل تكلم فيه الصحابة؟ قلت: لا، قال: تدري كم نجماً في السماء؟

قلت: لا، قال: فكوكب منها تعرف جنسه، طلوعه، أفوله، مِمَ خُلق؟ قلت: لا، قال: فشيء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه تتكلم في علم خالقه؟ ثم سألني عن مسألة في الوضوء فأخطأت فيها ففرعها على أربعة أوجه فلم أصب في شيء منه فقال: شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات تدع علمه، وتتكلف علم الخالق إذا هجس في ضميرك ذلك؛ فارجع إلى قول الله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٦٣) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ [البقرة: ١٦٣، ١٦٤]. فاستدّل بالمخلوق على الخالق، ولا تتكلف علم ما لم يبلغه عقلك»[1].

في هذه القصة فوائد مستنبطة، منها:

١- أن كلمة التوحيد كانت معروفة ومستعملة عند السلف، وقد تقدم في الأثر السابق أن كلمة السنة كانت معروفة كذلك.

٢- أن الشافعي رحمه الله أرشد صاحبه المزني بالاستدلال بالمخلوق على الخالق، وهذه طريقة الشرع،

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣١).

كما قال عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ...﴾.

[الأعراف: ١٨٥]

٣- عدم التكلف والتعمق والبحث في الأمور التي لا يبلغها العقل، وهذه نصيحة عظيمة من الإمام الشافعي، لو أن المتكلمين قد عملوا بها ولم يتكلفوا علم الغيوب التي لم تبلغها عقولهم لكان خيراً لهم، ولَمَا حصل منهم ذلك الضلال والاضطراب والحيرة والشك.

٤- على الإنسان طالب العلم أن يشتغل بما يفيده ويترتب عليه العمل، ولا ينشغل بالبحث عما لا طائل وراءه ولا فائدة ترجى منه.

٥ - أنه يجب على المسلم الإيمان بجميع أسمائه تعالى وصفاته والعلم بمعانيه بلا تمثيل ولا تعطيل، كما يجب عليه تفويض علم الكيفية إلى الله تعالى لأنه من دائرة علم الغيب.

بدعة القول بخلق أسماء الله الحسنى:

(٤) وأخرج ابن عبد البر عن يونس بن عبد الأعلى[١] قال: «سمعت الشافعي يقول: إذا سمعت الرجل يقول: الاسم غير المسمى، أو الشيء غير الشيء فاشهد عليه بالزندقة»[٢].

التعليق على هذا النص المبارك:

لقد رد الإمام الشافعي بنصه هذا علي أصناف من المعطلة الجهمية ومن يسير سيرهم من المعتزلة والماتريدية والأشعرية وغيرهم من القائلين ببدعة القول بخلق القرآن وببدعة القول بخلق أسماء الله تعالى.

وذلك أن من الجهمية من كانوا صرحاء في بدعتهم فكانوا يقولون ببدعة القول بخلق الأسماء الحسنى تبعاً للقول بدعة القول بخلق القرآن، ولكن من هؤلاء العطلة من كانوا

---

(١) هو يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة الصدفي الصمري قال عنه ابن حجر: «ثقة من صغار العاشرة مات سنة ٢٦٤هـ»، تقريب التهذب (٢/ ٣٨٥)، وانظر ترجمته في شذرات الذهب ٢/ ١٤٩)، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ص ٢٨.

(٢) الانتقاء ص ٧٩، ومجموع الفتاوى (٦/ ١٨٧).

غير صرحاء في إظهار هذه البدعة؛ فكانوا يموهون على الناس بقولهم: «الاسم غير المسمى»، وقصدهم بذلك التمهيد إلي بدعة القول بخلق أسماء الله تعالى، بحجة أن الاسم إذا كان غير مسمى فأسماء الله تعالى غير الله، وكل ما كان غير الله فهو مخلوق فأسماء الله تعالى مخلوقة لأنها غير الله.

وقال آخرون من هؤلاء المعطلة إن الاسم عين المسمى، وقصدهم بهذا القول أن الاسم الأول وهو الله ذاته غير مخلوق أما هذه الألفاظ كالله والرحمن والرحيم فهي تسميات وهي مخلوقة، وهذا القول لا يقل ضلالاً عن القول الأول الصريح للجهمية، لأن في طيه قولاً ببدعة خلق أسماء الله تعالي تبعاً للقول بخلق القرآن.

ومن أئمة السنة من قال أيضاً: «الاسم عين المسمى» وليس قصدهم أن أسماء الله مخلوقة ولكن قصدهم أنك إذا قلت: «يا الله» فليس المراد «لفظ الله» بل المراد «المسمى وهو الله ذاته»، ولكن لما كان قولهم هذا بالظاهر موافقاً للجهمية أنكره سائر أئمة السنة، وقالوا: البحث في «أن الاسم غير المسمى» أو «أن الاسم هو المسمى» كل ذلك من حماقات المتكلمين وضلال الجهميين، وكفروا القائلين بخلق أسماء الله

تعالى كما كفروا القائلين بخلق الله القرآن، وقالوا: الجواب الواضح أن يقال: «الاسم للمسمى» وحذروا من القول بأن الاسم عين المسمى أو غير المسمى؛ لئلا يتطرق أحد إلى القول ببدعة خلق أسماء الله تعالى، فإن أسماء الله تعالى غير مخلوقة كما أن كلامه غير مخلوق لأن أسماءه تعالى من كلامه سبحانه وتعالى(١).

إثبات الصفات التي جاءت في القرآن:

(٥) وقال الشافعي في كتابه **الرسالة**: «والحمد لله... الذي هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصفه به خلقه»(٢).

(٦) وأورد الذهبي في السير عن الشافعي أنه قال: «نثبت هذه الصفات التي جاء بها القرآن ووردت بها السنّة وننفي التشبيه عنه كما نفى عن نفسه قال: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ**

---

(١) ارجع في هذا المبحث إلي كلام شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٦/ ١٨٥ – ٢١٢، وهي رسالة مباركة. وراجع لمعرفة مذهب الماتريدية والأشعرية كتاب التوحيد للماتريدي ٦٥ – ٦٦، وبدء الأمالي مع شرحها ضوء المعاني ٢٦، ونشر الطوالع ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٦ وروح المعاني ١/ ٢٥٣ وأصول الدين للبغدادي ١١٤ – ١١٥.

(٢) الرسالة ص: ٧، ٨.

شَيْءٌ . . . ﴾ [الشورى: ١١][1].

والشافعي رحمه الله بذلك يسير على خطى من سبقوه من السلف الذين كان منهجهم في توحيد الأسماء والصفات إثبات ما ورد في الكتاب والسنة منها، مع تنزيه الله تعالى عن المشابهة كما هو مقتضى نصوص الكتاب والسنة، وهذا كقول مالك إمام دار الهجرة: (الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة والإيمان به واجب)[2]؛ فتبين أن الحق في هذا الباب هو الإثبات بلا تمثيل، والتنزيه بلا تعطيل.

إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة:

(٧) وأخرج ابن عبد البر عن الربيع بن سليمان قال: «سمعت الشافعي يقول في قول الله عز وجل: ﴿ كَلَّاً إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥]. أعلمنا بذلك أن ثَمَّ قوماً غير محجوبين ينظرون إليه لا يضامون في رؤيته»[3].

يرحم الله الإمام الشافعي، فما أدق هذا الاستنباط منه

---

(١) السير (٢٠/ ٣٤١).

(٢) انظر عقيدة السلف أصحاب الحديث ص (١٦ – ١٨).

(٣) الانتقاء ص ٧٩.

بهذه الآية على إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة، خلافًا لمن أنكرها من المعتزلة والجهمية وغيرهم، واستنباطه هذا من أدلة أهل السنة على إثبات الرؤية يوم القيامة.

(٨) وأخرج اللالكائي عن الربيع بن سليمان قال: «حضرت محمد بن إدريس الشافعي جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾؟ قال الشافعي: فلما حُجبُوا هؤلاء في السخط، كان هذا دليلاً على أنه يرونه في الرضا، قال الربيع: قلت: يا أبا عبد الله، وبه تقول؟ قال: نعم إثبات أن الله متكلم بكلام حقيقي وكلام الله غير مخلوق به أدين الله»(١).

التعليق على هذا النص المهم:

لقد بين الإمام الشافعي في كلامه هذا عقيدة السلف في الرؤية، وأن المؤمنين يرون ربهم بعيون رؤوسهم في المحشر والجنة وهذا من أعظم نعم الله عليهم ويرد الإمام الشافعي بقوله هذا على أصناف من الجهمية المعطلة كالمعتزلة حيث

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/٥٠٦).

ينكرون رؤية المؤمنين ربهم بأبصارهم كما يرد على الماتريدية والأشعرية حيث يزعمون أن المؤمنين يرون ربهم ولكن لا فوق ولا تحت ولا خارج ولا داخل ولا في جهة، وإلى أخر هذيانهم الذي جعلوا به الرؤية من المستحيلات الممتنعات، فصار قولهم هذا من أبطل الباطل لوجهين:

الأول: الإنكار للرؤية وإن اعترفوا بها ظاهراً.

والثاني: إنكار العلو لله تعالى وهذا من أعظم الكفر وأقبح الإلحاد في صفات الله تعالى.

(٩) وأخرج ابن عبد البر عن الجارودي[١] قال: ذكر عند الشافعي إبراهيم بن إسماعيل بن علية[٢] فقال: أنا مخالف له في كل شيء، وفي قول لا إله إلا الله لست أقول كما يقول، أنا أقول: لا إله إلا الله الذي كلم موسى عليه السلام تكليماً

---

(١) لعله موسى بن أبي الجارود قال عنه النووي: «أحد أصحاب الشافعي والآخذين عنه والرواة عنه»، وقال ابن هبة الله: «كان يفتي بمكة على مذهب الشافعي ولا يُعلم تاريخ وفاته»، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٢٠)، وطبقات الشافعي لابن هداية الله ص ٢٩.

(٢) هو إبراهيم بن إسماعيل بن علية قال عنه الذهبي: «جهمي هالك كان يناظر ويقول بخلق القرآن مات سنة ٢١٨هـ»، ميزان الاعتدال (١ / ٢٠) وانظر ترجمته في لسان الميزان.

من وراء حجاب وذاك يقول: لا إله إلا الله الذي خلق كلاماً أَسْمَعَهُ موسى من وراء حجاب»[1].

التعليق على هذا النص المبارك:

رحمة الله على هذا الإمام فقد أثلج قلوب أهل السنة وأرغم أنوف أهل البدع بهذا الكلام المتين العريق وهو يتضمن مسألتين من أهم مسائل الاعتقاد:

الأولى: أن الله تكلم بكلام حقيقي مسموع فقد كلم موسى عليه الصلاة والسلام تكليماً حقيقياً بحيث سمعه موسى عليه السلام؛ وأن كلام الله تعالى غير مخلوق وهذا رد على أصناف من المعطلة الجهمية كالمعتزلة والماتريدية والأشعرية الذين يقولون: إن الله تعالى لم يكلم موسى بكلام حقيقي مسموع وإنما خلق صوتاً في الشجرة فسمعه موسى عليه السلام، وهذا من أعظم الكفر وأشنع الإلحاد في صفات الله تعالى.

---

(١) الانتقاء ص ٧٩، والقصة ذكرها الحافظ عن مناقب الشافعي للبيهقي، واللسان (١/ ٣٥).

الثانية: مسألة الولاء لأهل السنة والبراء من أهل البدع فقد صرح الإمام بأنه مخالف لما عليه المبتدع الجهمي في كل شيء حتى في قوله: «لا إله إلا الله» لأنه يقول لا إله إلا الذي خلق كلاماً فسمعه موسى، ولم يسمع كلام الله الحقيقي، وأما أهل السنة فيقولون: لا إله إلا الله الذي كلم موسى تكليما.

حكم من قال بخلق القرآن:

(١٠) وأخرج اللالكائي عن الربيع بن سليمان، قال الشافعي: «من قال القرآن مخلوق فهو كافر»[١].

التعليق:

يستفاد من كلامه رحمه الله، القول بتكفير من يقول بخلق القرآن وهو مذهب السلف، غير أن التكفير بالعين ينبغي أن يسبقه إقامة الحجة على القائل بهذا الكلام، لكي يكون التكفير بعد البينة؛ ولكي لا يكون لأحد عذر أو حجة.

(١١) وأخرج البيهقي عن أبي محمد الزبيري قال: «قال رجل للشافعي: أخبرني عن القرآن خالق هو؟ قال

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١ / ٢٥٢).

الشافعي: اللهم لا. قال: فمخلوق؟ قال الشافعي: اللهم لا. قال: فغير مخلوق؟ قال الشافعي: اللهم نعم. قال: فما الدليل على أنه غير مخلوق؟ فرفع الشافعي رأسه وقال: تُقر بأن القرآن كلام الله؟ قال: نعم. قال الشافعي: سبقت في هذه الكلمة قال الله تعالى ذكره: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ... ﴾ [التوبة: ٦]. ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]. قال الشافعي: فتقر بأن الله كان وكان كلامه؟ أو كان الله ولم يكن كلامه؟ فقال الرجل: بل كان الله وكان كلامه. قال: فتبسم الشافعي، وقال: ياكوفيون إنكم لتأتوني بعظيم من القول، إذا كنتم تقرون بأن الله كان قبل القبل وكان كلامه فمن أين لكم الكلام؟ إنْ الكلام الله، أو سوى الله، أو غير الله، أو دون الله؟ قال: فسكت الرجل وخرج»[١].

التعليق:

يتضح من كلام الشافعي رحمه الله تعالى، استدلاله بالقرآن على أن هذا القرآن كلام الله تعالى، وهو أصرح دليل على ذلك إضافة إلى غيره، وكذلك يذهب رحمه الله إلى أن

---

(١) مناقب الشافعي (١/ ٤٠٧، ٤٠٨).

كلام الله تعالى صفة أزلية قديمة، كذلك ينتقد رحمه الله تخبط أهل البدع من الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والماتريدية والأشعرية وإبطال قولهم بخلق القرآن وابتداعهم لبدعة الكلام النفسي وزعمهم أن كلام الله ليس بحروف ولا صوت وأن كلام الله ليس بمسموع، وغيرها من العقائد البدعية.

إثبات أسماء الله وصفاته:

(١٢) وفي جزء الاعتقاد المنسوب للشافعي من رواية أبي طالب العشاري[١] - ما نصه قال: وقد سُئل عن صفات الله عز وجل وما ينبغي أن يؤمن به، فقال: «لله تبارك وتعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وخبَّر بها نبيه ﷺ أمته، لا يسع[٢] أحداً من خلق الله عز وجل قامت لديه[٣] الحجة أنَّ

---

(١) هو محمد بن علي العشاري شيخ صدوق معروف، وقد تفرد برواية هذا الجزء وهو مما أدخل عليه فحدث به بسلامة باطن قاله الذهبي في الميزان (٣/٦٥٦)، لكن اعتمد غير واحد من السلف ما هو مثبت في هذه العقيدة كالموفق بن قدامة في كتاب صفة العلو ص ١٢٤، وابن أبي يعلى في الطبقات (١/ ٢٨٣)، وابن القيم في اجتماع الجيوش ص ١٦٥، والذهبي نفسه في السير (١٠/ ٧٩)، ثم إن هذه الرسالة التي سأنقلها بنصها قد قرئت على الإمام الحافظ ابن نصر الدمشقي ونقلها جميعها ابن أبي يعلى في الطبقات وسأثبت الفروق بينهما.

(٢) في الطبقات: (لا يسمع).

(٣) في الطبقات: (عليه).

القرآن نزل به، وصح عنده[1] قول النبي ﷺ - فيما روى عنه العدل - خلافه[2]. فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه، فهو كافر بالله[3] عز وجل، فأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر، فمعذور بالجهل؛ لأن عِلْمَ ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالدراية[4] والفكر ونحو ذلك. أخبر الله عز وجل أنه سميع وأن له يدين بقوله عز وجل: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ...﴾ [المائدة: ٦٤]. وأن له يمينًا بقوله عز وجل: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ...﴾ [الزمر: ٦٧]. وأن له وجهًا بقوله عز وجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ...﴾ [القصص: ٨٨]. وقوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وأنَّ له قدمًا بقوله ﷺ: «حتى يضع الرب عزّ وجل فيها قدمه»[5] يعني جهنم، وأنه يضحك؛

---

(١) في الطبقات: (عنه بقوله).

(٢) في الطبقات: (سقطت كلمة خلافة).

(٣) في الطبقات: (فهو بالله كافر).

(٤) في الطبقات: (ولا بالرواية).

(٥) أخرجه البخاري كتاب التفسير باب: وتقول هل من مزيد» (٨/ ٥٩٤)ح (٤٨٤٨)، ومسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٤/ ٢١٨٧)ح (٢٨٤٨) كلاهما من طريق قتادة عن أنس بن مالك.

لقوله ﷺ، للذي قتل في سبيل الله عز وجل أنه: «لقي الله عز وجل وهو يضحك إليه»(١) وأنه يهبط كل ليلة إلى السماء الدنيا، بخبر رسول الله ﷺ بذلك، وأنه ليس بأعور لقول النبي ﷺ إذ ذكر الدجال فقال: «إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور»(٢). وأن المؤمنين يرون ربهم عز وجل يوم القيامة بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر، وأن له أصبعاً بقوله ﷺ: «ما من قلب إلا هو بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الجهاد باب الكافر يقتل المسلم (٦/ ٣٩) ح (٢٨٢٦)، ومسلم كتاب الإمارة باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة (٣/ ١٥٠٤) ح (١٨٩٠) كلاهما من طريق الأعرج عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الفتن باب ذكر الدجال (١٣/ ٩١) ح (٧١٣١) ومسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال وصفته (٤/ ٢٢٤٨) ح (٢٩٣٣) كلاهما من طريق قتادة عن أنس بن مالك.

(٣) أخرجه بنحو هذا اللفظ أحمد في المسند (٤/ ١٨٢)، وابن ماجة في المقدمة باب: فيما أنكرت الجهمية (١/ ٧٢) ح (١٩٩) والحاكم في المستدرك (١/٥٢٥)، والآجري في الشريعة ص (٣١٧) وابن منده في الرد على الجهمية ص ٨٧، جميعهم من حديث النواس بن سمعان قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، وأقره الذهبي في التلخيص، وقال عنه ابن منده: «حديث النواس بن سمعان حديث ثابت رواه الأئمة المشاهير ممن لا يمكن الطعن على واحد منهم».

وإن[1] هذه المعاني التي وصف الله عز وجل بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ، لا يدرك[2] حقه[3] ذلك بالفكر والدراية[4] ولا يكفر بجهلها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه، وإن[5] كان الوارد بذلك خبراً يقوم في الفهم مقام المشاهدة في السماع «وجبت الدينونة»[6] على سامعه بحقيقته والشهادة عليه كما عاين وسمع من رسول الله ﷺ، ولكن نثبت[7] هذه الصفات وننفي[8] التشبيه، كما نفى ذلك عن نفسه تعالى ذكره فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]»[9] آخر الاعتقاد.

---

(١) في الطبقات: (فإن).

(٢) في الطبقات: (مما لا يدرك).

(٣) في الطبقات: (حقيقته).

(٤) في الطبقات: (والروية)

(٥) الطبقات: (فإن كان).

(٦) ما بين القوسين مثبت من الطبقات.

(٧) في الطبقات: (يثبت).

(٨) في الطبقات: (وينفي).

(٩) نقلت هذا الاعتقاد من نسخة مصورة من أصل خطي محفوظ في المكتبة المركزية بجامعة ليدن بهولندا.

التعليق:

يستفاد من هذا الاعتقاد مسائل، منها:

١- أن الشافعي يرى عدم التكفير، إلا بعد قيام الحجة على الشخص وتبليغ الجاهل.

٢- أنه رحمه الله، يثبت الأسماء والصفات على ما ثبتت في الكتاب والسنة، دون تشبيه أو تكييف.

٣- أنه رحمه الله يثبت لله تعالى صفة الوجه واليدين والضحك والقدم والإصبع وغير ذلك مما ورد به النص الصحيح.

الخلاصة:

١- يثبت الشافعي - رحمه الله - جميع ما ثبت من الصفات الإلهية من غير تشبيه.

٢- يثبت رحمه الله أن القرآن غير مخلوق وأنه كلام الله على الحقيقة ومن قال غير ذلك فقد كفر.

٣- يثبت رحمه الله تعالى اسم السنة لمسائل أصول الدين، كما يثبت اسم أهل الحديث لأصحاب السنة.

٤- يثبت رحمه الله مسألة الرؤية بمقتضى أدلة الكتاب والسنة.

٥- كان رحمه الله يرى عدم جواز تَكَلُّفِ علم ما لم يبلغه العقل.

المناقشة:

س١ : ما هي عقيدة الشافعي - رحمه الله - في الصفات الإلهية؟

س٢ : هل يثبت الشافعي الرؤية في الآخرة؟ وما دليله؟

س٣ : اذكر قوله في القرآن مع ذكر أدلته؟

س٤ : هل يجوز أن يتكلف المرء علم الغيبيات التي لا يبلغها عقله؟

* * *

المبحث الثاني

عقيدته في القـــدر

لم يفت الشافعي – رحمه الله – أن يبين عقيدته في القدر الإلهي شأنه شأن غيره من أئمة السلف، فتكلم في إثبات قدر الله تعالى بجميع مراتبه التي وردت بها النصوص وذلك كفعل باقي الأئمة، فأثبت علم الله تعالى السابق ومشيئته وإرادته وخلقه، وتكلم عن أفعال العباد كما سترى .

(١) أخرج البيهقي عن الربيع بن سليمان، قال : « سُئِل الشافعي عن القدر فقال :

ما شئـتَ كـان، وإن لم أشـــأ   وما شئتُ إن لم تشأ لم يكـــنْ
خلقت العباد على ما علمـت   ففي العلم يجري الفتى والمسنْ
عَلَى ذا مننتَ، وهذا خذلـتَ   وهـذا أعنـتَ وذا لم تُعِـــــنْ
فمنهم شَـِــقيٌّ ومنهم سَـعِيدٌ   ومنهم قبيحٌ ومنهم حسَـــنْ[1]

---

(١) مناقب الشافعي (١/ ٤١٢ و ٤١٣)، شرح اعتقاد أهل السنة (٢/ ٧٠٢) .

(٢) أورد البيهقي في مناقب الشافعي أن الشافعي قال: إن مشيئة العباد هي إلى الله تعالى ولا يشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين، فإن الناس لم يخلقوا أعمالهم، وهي خلق من خلق الله تعالى، وأفعال للعباد. وإن القدر خيره وشره من الله عز وجل، وإن عذاب القبر حق، ومساءلة أهل القبور حق، والبعث حق، والحساب حق، والجنة والنار حق، وغير ذلك مما جاءت به السُّنن»[١] .

من هو القدري؟:

(٣) وأخرج اللالكائي عن المزني قال: «قال الشافعي: تدري من القدري؟ الذي يقول: إن الله لم يخلق الشيء حتى عُمِلَ به».

قال المزني والشافعي بكفره[٢] .

(٤) وأورد البيهقي عن الشافعي حيث قال: «القدرية الذين قال رسول الله ﷺ: «هم مجوس هذه الأمة»[٣] .

---

(١) مناقب الشافعي (١/ ٤١٥).

(٢) اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٧٠١).

(٣) أخرجه أبو داوود كتاب السنة باب في القدر (٥/ ٦٦) ح (٤٦٠١) والحاكم في المستدرك (١/ ٨٥)، وكلاهما من طريق أبي حازم عن ابن عمر، قال =

الذين يقولون: إن الله لا يعلم المعاصي حتى تكون»[1].

حكم الصلاة خلف القدري:

(٥) وأخرج البيهقي عن الربيع بن سليمان عن الشافعي أنه كان يكره الصلاة خلف القدري[2].

التعليق:

وكل هذه النصوص السابقة من الشافعي - رحمه الله تعالى - تثبت أنه يقول بما قال به السلف رحمهم الله تعالى من إثبات مراتب القدر، وإثبات المشيئة والخلق لله تعالى، وإثبات العلم السابق وأن أفعال العباد كلها مخلوقة، فهو رحمه الله على مذهب السلف في ذلك وكذلك بيانه رحمه الله للقدرية المقصودين في الحديث، بأنهم الذين ينكرون العلم الإلهي السابق، ويظهر كذلك أنه رحمه الله تعالى لم يكن يحب الصلاة خلف القدرية.

= الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر ولم يخرجاه» وأقره الذهبي.

(١) مناقب الشافعي (١/ ٤١٣).

(٢) مناقب الشافعي (١/ ٤١٣).

الخلاصة:

إن الشافعي - رحمه الله - مثل باقي علماء السلف في إثبات قدر الله تعالى بجميع مراتبه، وإثبات العلم السابق والكتابة والمشيئة الشاملة والخلق لجميع الكائنات، وأفعال العباد كلها مخلوقة وهو لا يرى الصلاة خلف القدرية.

المناقشة:

س١ : ما هي مراتب القدر التي أثبتها الشافعي رحمه الله تعالى؟

س٢ : ما قول الشافعي في أفعال العباد؟

س٣ : ما موقفه رحمه الله من الصلاة خلف القدري؟

* * *

المبحث الثالث

عقـيدته في الإيمـان

جرى الإمام الشافعي – رحمه الله – على ما سبقه عليه غيره من علماء السلف وأئمتهم في إثبات أن الإيمان قول وعمل، وأنه يزيد وينقص، وجعلوا ذلك من أصولهم التي يذكرونها ويجيبون بها أهل البدع، فمن ذلك ما :

الإيمان قول وعمل واعتقاد القلب :

(١) ما أخرج ابن عبد البر عن الربيع قال: « سمعت الشافعي يقول: « الإيمان قول وعمل واعتقاد بالقلب، ألا ترى قول الله عز وجل: ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ** ﴾ [البقرة : ١٤٣] . يعني صلاتكم إلى بيت المقدس فسمّى الصلاة إيمانًا وهي قول وعمل وعقد »[١] .

---

(١) الانتقاء ص ٨١ .

الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد وينقص:

(٢) وأخرج البيهقي عن الربيع بن سليمان قال: «سمعت الشافعي يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»(١).

(٣) وأخرج البيهقي عن أبي محمد الزبيري قال: «قال رجل للشافعي: أي الأعمال عند الله أفضل؟ قال الشافعي: ما لا يقبل عملاً إلا به، قال: وما ذاك؟ قال: الإيمان بالله الذي لا إله إلا هو، أعلى الأعمال درجة، وأشرفها منزلة وأسناها حظًا، قال الرجل: ألا تخبرني عن الإيمان: قول وعمل، أو قول بلا عمل؟ قال الشافعي: الإيمان عمل لله والقول بعض ذلك العمل، قال الرجل: صف لي ذلك حتى أفهمه، قال الشافعي: إن للإيمان حالات ودرجات وطبقات فمنها التام المنتهي تمامه، والناقص البيِّن نقصانه، والراجح الزائد رجحانه، قال الرجل: وإن الإيمان ليتم وينقص ويزيد؟ قال الشافعي: نعم، قال: وما الدليل على ذلك؟ قال الشافعي: إن الله جل ذكره فرض الإيمان على جوارح بني آدم، فقسمه فيها، وفرقه عليها، فليس من جوارحه جارحة إلا وقد

---

(١) مناقب الشافعي (١/ ٣٨٧).

وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها بفرض من الله تعالى.

فمنها: قلبه الذي يعقل به، ويفقه ويفهم وهو أمير بدنه الذي لا تَرِدُ الجوارح ولا تَصْدُرُ إلا عن رأيه وأمره.

ومنها: عيناه اللتان ينظر بهما، وأذناه اللتان يسمع بهما، ويداه اللتان يبطش بهما، ورجلاه اللتان يمشي بهما، وفرجه الذي ألباهُ من قِبَلِه ولسانه الذي ينطق به، ورأسه الذي فيه وجهه.

فرض على القلب غير ما فرض على اللسان، وفرض على السمع غير ما فرض على العينين، وفرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين، وفرض على الفرج غير ما فرض على الوجه.

فأما فرض الله على القلب من الإيمان، فالإقرار والمعرفة والعقد والرضا والتسليم بأن الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً ﷺ عبده ورسوله، والإقرار بما جاء من عند الله، نبي أو كتاب فذلك ما فرض الله جل ثناؤه على القلب وهو عمله:

﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا . . .﴾ [النحل: ١٠٦] . وقال: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] . وقال: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ . . .﴾ [المائدة: ٤١] . وقال: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ . . .﴾ [البقرة: ٢٨٤] . فذلك ما فرض الله على القلب من الإيمان، وهو عمله، وهو رأس الإيمان .

« وفرض « الله » على اللسان : القول والتعبير عن القلب بما عقد وأقر به، فقال في ذلك : ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ . . .﴾ [البقرة: ١٣٦] . وقال: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا . . .﴾ [البقرة: ٨٣]، فذلك ما فرض الله على اللسان من القول، والتعبير عن القلب، وهو عمله، والفرض عليه من الإيمان .

وفرض الله على (السمع) : أن يتنزه عن الاستماع إلى ما حرّم الله، وأن يُغض عما نهى الله عنه، فقال في ذلك : ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ . . .﴾ [النساء: ١٤٠]، ثم استثنى موضع النسيان، فقال جل وعز: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ

الشَّيْطَانُ﴾ أي: فقعدت معهم: ﴿فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]، وقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ⟨١٧⟩ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨]. وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ⟨١⟩ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ إلى قوله: ﴿لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ٤]. وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ...﴾ [القصص: ٥٥]. وقال: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]. فذلك ما فرض الله، جل ذكره، على السمع من التنزيه عما لا يحل له، وهو عمله، وهو من الإيمان.

و«فرض على العينين»: ألا ينظر بهما إلى ما حرم الله، وأن يغضهما عما نهاه عنه، فقال تبارك وتعالى، في ذلك: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ...﴾ [النور: ٣٠، ٣١] الآيتين: أن ينظر أحدهم إلى فرج أخيه، ويحفظ فرجه من أن يُنظر إليه.

وقال: كل شيء من حفظ الفرج، في كتاب الله، فهو من الزنا إلا هذه الآية، فإنها من النظر.

فذلك ما فرض الله على العينين من غض البصر، وهو

عملها، وهو من الإيمان.

ثم أخبر عما فرض على القلب والسمع والبصر، في آية واحدة، فقال، سبحانه وتعالى، في ذلك: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، قال: يعني وفرض على الفرج: أن لا يهتكه بما حرم الله عليه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥]، وقال: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت: ٢٢] الآية. يعني بالجلود: الفروج والأفخاذ، فذلك ما فرض الله على الفروج من حفظهما عما لا يحل له، وهو عملهما.

«وفرض على اليدين»: ألا يبطش بهما إلى ما حرم الله تعالى، وأن يبطش بهما إلى أمر الله من الصدقة وصلة الرحم، والجهاد في سبيل الله، والطهور للصلوات، فقال في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ...﴾ [المائدة: ٦] إلى آخر الآية. وقال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا

فِداءً... ﴾ [محمد: ٤] لأن الضرب، والحرب، وصلة الرحم، والصدقة من علاجها.

«وفرض على الرجلين»: ألا يمشي بهما إلى ما حرم الله، جل ذكره، فقال في ذلك: ﴿**وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً**﴾.

[الإسراء: ٣٧]

«وفرض على الوجه»: السجود لله بالليل والنهار، ومواقيت الصلاة، فقال في ذلك: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الحج: ٧٧]، وقال: ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾ [الجن: ١٨]، يعني بالمساجد: ما يسجد عليه ابن آدم في صلاته، من الجبهة وغيرها.

قال: فذلك ما فرض الله على هذه الجوارح.

وسمى الطهور والصلوات إيمانًا في كتابه، وذلك حين صرف الله تعالى وجه نبيه ﷺ، من الصلاة إلى بيت المقدس، وأمره بالصلاة إلى الكعبة، وكان المسلمون قد صلوا إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا، فقالوا: يا رسول الله، أرأيت صلاتنا

التي كنا نصليها إلى بيت المقدس، ما حالها وحالنا؟

فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فسمى الصلاة إيمانا، فمن لقي الله حافظًا لصلواته، حافظًا لجوارحه، مؤديًا بكل جارحة من جوارحه ما أمر الله به وفرض عليها - لقي عليها - لقي الله مستكمل الإيمان من أهل الجنة، ومن كان لشيء منها تاركًا متعمداً مما أمر الله به - لقي الله ناقص الإيمان. قال: وقد عرفت نقصانه وإتمامه، فمن أين جاءت زيادته؟

قال الشافعي: قال الله، جل ذكره: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥]، وقال: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: ١٣].

قال الشافعي: ولو كان هذا الإيمان كله واحداً لا نقصان فيه ولا زيادة - لم يكن لأحد فيه فضل، واستوى الناس، وبطل التفضيل. ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنة، وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله في

«الجنة»، وبالنقصان من الإيمان دخل المفرطون النار.

قال الشافعي: إن الله جل وعز، سابق بين عباده، كما سُوبق بين الخيل يوم الرهان. ثم إنهم على درجاتهم من سبق عليه، فجعل كل امرئ على درجة سبقه، لا ينقصه فيها حقه، ولا يُقَدَّمُ مسبوق على سابق، ولا مفضول على فاضل. وبذلك فضل أول هذه الأمة على آخرها. ولو لم يكن لمن سبق إلى الإيمان فضل على من أبطأ عنه للحق آخر هذه الأمة بأولها»[1].

التعليق:

رحم الله الشافعي على هذا الكلام النفيس، الذي يفصل فيه القول، لإثبات دخول الأعمال في مسمى الإيمان، وكذلك إثباته أن الإيمان قول وعمل، واستدلاله بدلالات الكتاب والسنة، وكذلك بإثباته لزيادة الإيمان ونقصانه، كما هو اعتقاد السلف رحمهم الله تعالى، وكذلك تفاضل المؤمنين في الدرجات، فهو بهذا على اعتقاد السلف رحمهم الله تعالى، بل هو من كبار أئمة السلف وشيوخهم فرضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) مناقب الشافعي (١/٣٨٧- ٣٩٣).

الخلاصة:

١- الإيمان عند الشافعي رحمه الله تعالى قول وعمل، ويزيد وينقص كما هو مقتضى النصوص في الباب.

٢- المؤمنون يتفاضلون في الثواب والمنزلة على حسب استكمالهم لأمور الإيمان.

المناقشة:

س١ : ما الإيمان عند الشافعي؟

س٢ : هل يعد الشافعي العمل من الإيمان؟ وما دليله؟

س٣ : ما قوله في مسألة تفاضل المؤمنين؟

* * *

المبحث الرابع

عقيدته في الصحابة

إن حرص أهل العلم على إدراج مسألة الصحابة في أصولهم إنما ظهرت بعد أن أظهر أهل البدع الباطلة القول بعدم إمامة أبي بكر وعمر، والطعن في الصحابة، وانتقاصهم، والقدْح فيهم؛ فمن هنا حرص الأئمة على بيان عقيدتهم في شأن الصحابة، ومن هؤلاء الشافعي رحمه الله تعالى:

الصحابة لهم من الفضل ما ليس لأحد من بعدهم:

(١) أورد البيهقي عن الشافعي أنه قال: «أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل، وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله، وهنأهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين، فهم أدوا إلينا سُنن رسول الله ﷺ . وشاهدوه والوحي ينزل عليه،

فعلموا ما أراد رسول الله ﷺ عامًّا وخاصًا، وعزمًا وإرشادًا، وعرفوا سنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد، وورع وعقل، وأمر استدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا والله أعلم»[١].

التعليق على هذا النص المبارك:

لقد بين لنا الإمام الشافعي رفيع منزلة أصحاب النبي ﷺ ديناً وعلماً وعملاً واجتهاداً وفهماً للنصوص، وأنهم يقدمون ويفضلون على جميع الأمة علي الإطلاق، ومن أهم ما يتضمنه هذا النص:

هو أن فهم الصحابة للنصوص واجتهادهم أولى من فهمنا واجتهادنا؛ ويستنبط من هذه القاعدة أنه لا بد لأهل السنة أن يعملوا بالسنة ولكن بفهم سلف أهل السنة وهم الصحابة، وهذه قاعدة عظيمة النفع في باب الاعتقاد وباب الفقه وأصوله، فإن كثيراً من أهل البدع انحرفوا عن السنة لأنهم فهموا السنة بفهمهم هم لا بفهم الصحابة وسلف الأمة

---

(١) مناقب الشافعي (١/ ٤٤٢).

رضي الله عنهم، وبسبب الفهم الخاطئ للنصوص وعدم الأخذ بفهم السلف وقع الجهمية والمعتزلة والماتريدية والأشعرية والخوارج والمرجئة والصوفية والقبورية وغيرهم في الفرق المبتدعة في أنواع من العقائد الفاسدة التي تناقض التوحيد .

التفاضل بين الصحابة :

(٢) وأخرج البيهقي عن ربيع بن سليمان قال : « سمعت الشافعي يقول في التفضيل: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي »[١] .

(٣) وأخرج البيهقي عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم[٢] قال : « سمعت الشافعي يقول : أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ، أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، رضي

---

(١) مناقب الشافعي (١ / ٤٣٢) .

(٢) هو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري أبو عبد الله، قال عنه الشيرازي : « صحب الشافعي وتفقه به وحمل في المحنة إلى بغداد إلى ابن أبي دؤاد ولم يجب إلى ما طلب منه ورد إلى مصر... مات في سنة اثنتين وستين ومائتين »، طبقات الفقهاء ص ٩٩ وانظر ترجمته في طبقات الشافعية لابن هداية الله ص ٣٠ وشذرات الذهب (٢ / ١٥٤) .

الله عنهم »[1] .

حكم الصلاة خلف الرافضي والقدري والمرجئ:

(٤) وأخرج الهروي عن يوسف بن يحيى البويطي قال: « سألت الشافعي أأصلي خلف الرافضي؟ قال: لا تصل خلف الرافضي ولا القدري ولا المرجئ، قلت: صفهم لنا، قال: من قال: الإيمان قول فهو مرجئ، ومن قال: إن أبا بكر وعمر ليسا بإمامين فهو رافضي، ومن جعل المشيئة إلى نفسه فهو قدري »[2] .

التعليق:

يرحم الله الشافعي على هذه النصوص القيمة، والتي يظهر فيها فضل الصحابة رضي الله عنهم، وسابقتهم في الإسلام، ومبلغ ورعهم وعمق علمهم وكذلك إثباته لإمامة الشيخين الجليلين، أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وكذلك تفضيله لأبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم جميعاً، على ما هو مذهب أهل السنة رحمهم الله تعالى، في هذا

---

(١) مناقب الشافعي (١ /٤٣٣) .

(٢) ذم الكلام (ق –٢١٥) وأورده الذهبي في السير (١٠ / ٣١) .

الباب وكذلك يبدو من النص الأخير نهيه رحمه الله، عن الصلاة خلف الرافضة الذين ينتقصون الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فرضي الله عنه وأرضاه.

الخلاصة:

١- يعتقد الشافعي أن الصحابة هم أفضل الأمة وأن انتقاصهم طعن في الدين؟

٢- يفضل الشافعي بين الصحابة فيفضل الأربعة الخلفاء على حسب ترتيبهم في الخلافة.

٣- نهى رحمه الله عن الصلاة خلف من ينتقص الصحابة، وغيره من أهل البدع.

المناقشة:

س١: ما قول الشافعي في الصحابة رضي الله عنهم؟

س٢: من أفضل الصحابة عند الشافعي؟

س٣: ما هو مذهبه في الصلاة خلف من ينتقض الصحابة؟

المبحث الخامس

نهيه عن الابتداع والخصومات في الدين

إن الشافعي رحمه الله، كغيره من علماء السلف الذين كرهوا علم الكلام وذموه وذموا المشتغلين به، بل إنه رحمه الله كان يرى وجوب معاقبة المتكلمين والتشهير بهم والتحذير منهم، كما رأى أن كتبهم لا تعد من كتب العلم، وأن ما اشتغلوا به ليس علماً على الإطلاق؛ من هنا كان يعتبر أن الكلام خطيئة، وأنه أعظم من الكبائر، وذلك ثابت عنه كما سيأتي.

التحذير من كتب أهل الكلام:

(١) أخرج الهروي عن الربيع بن سليمان قال: « سمعت الشافعي يقول: ... لو أن رجلاً أوصى بكتبه من العلم لآخر، وكان فيها كتب الكلام، لم تدخل في الوصية لأنه ليس من العِلْم »[١].

---

(١) ذم الكلام (ق –٢١٣) وأورده الذهبي في السير (١٠/ ٣٠).

التعليق:

يدل هذا النص العظيم على الحمية القوية من الإمام الشافعي على العقيدة السلفية والتبري من أهل البدع على أصنافهم وأن أهل الكلام ليسوا من أهل العلم.

ويستنبط من هذا النص:

أنه لو أوصى أحد بمال لأهل العلم لا يكون فيه شيء لأهل الكلام من المعتزلة والماتريدية والأشعرية.

مناظرة أهل الكلام وتأليف الكتب في الرد عليهم:

(٢) وأخرج الهروي عن الحسن الزعفراني قال: « سمعت الشافعي يقول: ما ناظرت أحداً في الكلام إلا مرة وأنا أستغفر الله من ذلك »[١].

التعليق:

يدل هذا النص على الإعراض عن محادثة أهل الكلام لئلا يتعلق بالمرء شبهة من شبهاتهم ولكن إذا كان لا بد من مناظرتهم لأجل ضرورة شرعية يجوز مناظرتهم وإسكاتهم

---

(١) ذم الكلام (ق –٢١٣) وأورده الذهبي في السير (١٠/ ٣٠).

وقمعهم وإزالة شبهاتهم بنصوص الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة.

(٣) وأخرج الهروي عن الربيع بن سليمان قال: «قال الشافعي: لو أردت أن أضع على كل مخالف كتابًا كبيراً لفعلت، ولكن ليس الكلام من شأني، ولا أحب أن ينسب إليّ منه شيء»[١].

التعليق:

كانت طريقة السلف أن لا يهتموا كثيراً بتأليف الكتب في الرد على أهل البدع خوفاً من انتشار بدعهم، ولكن لما كثرت البدع وانتشرت أحسوا ضرورة الرد عليهم فكثرت مؤلفات السلف في الرد على أصناف من الجهمية والقدرية والمرجئة والرافضة والخوارج وغيرهم من أهل البدع، ورأوا أن الرد على أهل البدع من أعظم الجهاد في سبيل الله ومن أجل العبادة لله تعالى.

---

(١) ذم الكلام (ق– ٢١٥).

التحذير من الكلام:

(٤) وأخرج ابن بطة عن أبي ثور قال: «قال لي الشافعي: ما رأيت أحداً ارتدى شيئًا من الكلام فأفلح»[١].

(٥) وأخرج الهروي عن يونس المصري قال: «قال لي الشافعي: لأن يبتلي الله المرء بما نهى الله عنه، خلا الشرك بالله، خير من أن يبتليه بالكلام»[٢].

التعليق:

فهذه أقوال الإمام الشافعي رحمه الله في مسائل الدين، وهذا موقفه من علم الكلام، وتبين منه أنه رحمه الله، شأنه كغيره من السلف، يكرهون علم الكلام لما يورثه من الشك في العقائد، والحيرة والاضطراب، ويكرهون أهله، وينهون عن مخالطتهم ويبدعونهم، ويرونهم وبالاً على الإسلام والمسلمين، ويرون أن عاقبة الكلام تؤول إلى الضلال والانحراف؛ فرحمه الله ورضي عنه.

---

(١) الإبانة الكبرى ص ٥٣٥، ٥٣٦.

(٢) مناقب الشافعي لابن أبي حاتم ص ١٨٢.

ومن شك في هذه الحقيقة فليتدبر عقائد المعتزلة والماتريدية والأشعرية وما فيها من تعطيل وإرجاء وتحريف لنصوص الصفات وإنكار لعلو الله تعالى، وقول بخلق القرآن وابتداع للكلام النفسي، واستخفاف بنصوص الوحي وتقديم عقولهم السخيفة عليها، إلى غيرها من الضلال.

الخلاصة:

١- كان الشافعي رحمه الله تعالى، ينهى عن الاشتغال بعلم الكلام وكان يذم أهله وينهى عن كلامهم.

٢- كان الشافعي حريصاً على ألا يُنْسَبَ إلى الكلام بأي شكل من الأشكال.

٣- يرى رحمه الله أن كتب أهل الكلام ليست من كتب العلم في شيء.

المناقشة:

س١ : ما موقف الشافعي من علم الكلام ومن المتكلمين؟

س٢ : هل عُرِفَ الشافعي بعلم الكلام في وقت ما؟

س٣ : هل يعتبر الشافعي الكلام علماً؟

* * *

المبحث السادس

نهيه عن الشرك ووسائله

أولاً: وسائل الشرك:

إن الإمام الشافعي، رحمه الله تعالى، كان من أكثر الناس حرصاً على حماية جناب التوحيد، والتحذير من وسائل الشرك، وأشدهم نهياً عنها، وكذلك أتباعه، وقد وردت عنهم في ذلك نصوص كثيرة منها:

جاء عن الإمام الشافعي: وأتباعه النهي عن ما هو من وسائل الشرك كتجصيص القبور[1] وتعليتها[2]

---

(١) لما أخرجه مسلم وغيره قال: «نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه بناءٌ». ولمعرفة موقف الإمام الشافعي وكثير من أتباعه في هذه القضايا راجع المهذب ١/ ٤٥٦، وروضة الطالبين ١/ ٦٥٢، والمجموع ٥/ ٢٦٦. والسراج الوهاج ١/ ١١٤، وشرح مسلم للنووي ٧/ ٣٧، ٣٨، والعقد الثمين ص ١٨٦.

(٢) ولمعرفة موقف الشافعية انظر: روضة الطالبين ١/ ٦٥٢، والزواجر١/ ١٩٥.

والبناء عليها[١] والكتابة عليها[٢]، وإسراجها[٣] واتخاذها مساجد[٤]. والصلاة إليها[٥]، واستقبالها للدعاء[٦]

---

(١) لمعرفة موقف الشافعي رحمه الله تعالى وأتباعه انظر المهذب ١/ ٤٥٦، وروضة الطالبين ١/ ٦٥٢، والمجموع ٥، ٢٦٦، والسراج الوهاج ١/ ١١٤، وشرح مسلم للنووي ٧/ ٣٠٧.

(٢) لما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث جابر أن النبي ﷺ: «نهى أن تجصص القبور وأن يكتب عليها».
ولمعرفة موقف الإمام الشافعي وأتباعه انظر: الأم ١/ ٢٧٨، روضة الطالبين ١/ ٦٥٢، والمهذب ١/ ٤٥١، والمجموع ٥/ ٢٦٦، والسراج الوهاج ١/ ١١٤، والعقد الثمين ص ١٨٦.

(٣) لقول النبي ﷺ: «لعن الله زورات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج».
ولمعرفة موقف الشافعية انظر الزواجر ١/ ١٩٤ فتح المجيد ص ١٨٦.

(٤) قال النبي ﷺ: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا» متفق عليه وقال: ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد إني أنهاكم عن ذلك». أخرجه مسلم وغيره، ولمعرفة موقف الإمام الشافعي وأتباعه، انظر: الأم ١/ ٢٧٨، شرح مسلم للنووي ٥/ ١١–١٤، والزواجر ١/ ١٩٤.

(٥) لما أخرجه مسلم وغيره أن النبي ﷺ، قال: «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا عليها». ولمعرفة موقف الإمام الشافعي وأتباعه انظر: الأم ١/٤٦، وشرح مسلم للنووي ٧/ ٣٨، والزواجر ١/١٩٤.

(٦) تقدم ذكر الدليل في الفقرة السابق لمعرفة موقف الشافعية، راجع الموضوع ٨/ ٢٥٧.

والطواف بها[1] والقعود عليها[2]، وتقبيلها ومسحها باليد[3]، وأن يضرب عليها مظلة[4]، أو أن يقول: والله وحياتك[5] أو يقول: ما شاء الله وشئت[6].

---

(١) قال تعالى: ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ [الحج: ٢٩]، فالطائف بقبر إنما يشبهه في الحقيقة ببيت الله الحرام الذي يطوف به المسلمون. ولمعرفة موقف الشافعية راجع المجموع ٨/ ٢٥٧، الزواجر ١/ ١٩٤، وتطهير الجنان ص ٣٧.

(٢) لما أخرجه مسلم وغيره عن جابر قال: «نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه بناء».

(٣) من المعروف أن الله تعالى لم يشرع لنا تقبيل بقعة معينة سوى الحجر الأسود، ولم يشرع لنا مسح شيء واستلامه سوى الحجر والركن اليماني، أما فعل هؤلاء عند القبور فهو من الغلو الموقع في الشرك والبدع الغليظة لأنه مساواة بين المشاعر المقدسة وبين القبور، وهذا فعل من ضلوا ويحسبون أنهم مهتدون.
ولمعرفة موقف الشافعية، انظر المجموع ٨/ ٢٥٧.

(٤) تقدم ذكر الدليل في الفقرات السابقة. ولمعرفة موقف الشافعية انظر: المجموع ٥/ ٢٦٦.

(٥) لقول النبي ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك». انظر: تفسير ابن كثير ١/ ١٠١.

(٦) لقول النبي ﷺ: «أجعلتني لله ندًا»، لمن قال له: «ما شاء الله وشئت» انظر: تفسير ابن كثير الشافعي ١/ ١٠١.

كراهية الشافعي البناء على القبر وتجصيصه وأن يكتب عليه:

قال الشافعي: «وأكره أن يبنى على القبر مسجد وأن يسوى، أو يصلى عليه وهو غير مسوى، أو يصلى إليه[1].

واستعماله رحمه الله للفظ الكراهة إنما يقصد به التحريم كما هو مقتضى النصوص الشرعية، وليس المقصود بكلامه الكراهة باصطلاح الفقهاء المتأخرين.

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «يكره أن يجصص القبر وأن يكتب عليه اسم صاحبه، أو غير ذلك، وأن يبنى عليه»[2].

وقال أيضاً: «ورأيت من الولاة من يهدم ما بُنِيَ فيها، ولم أرَ الفقهاء يعيبون عليه ذلك ولأن في ذلك، تضييقاً على الناس»[3].

---

(١) الأم ١ / ٢٧٨ ولعله لا يقصد بالتسوية تسوية القبر بالأرض فإنها مامور بها لكن لعله يقصد جعل القبر مستوي الأسطح والحواف وغير ذلك، بحيث لا يكون فيه نتوءات ولا بروز. والله أعلم.

(٢) المجموع ٥ / ٢٦٦.

(٤) المجموع ٥ / ٢٦٦.

كراهية الشافعي أن يجعل القبر مسجداً:

قال الشافعي: «وأكره أن يُعَظَّمَ مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس»[1].

وقال النووي: «ويكره تجصيص القبر والبناء والكتابة عليه، ولو بنى في مقبرة مُسبّلة هدم»[2].

وقال ابن حجر المكي الهيثمي: «الكبيرة[3] الثالثة والرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة، والثامنة، والتسعون اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها، واتخاذها أوثاناً، والطواف بها، واستلامها، والصلاة إليها... ثم قال: تنبيه: عدّ هذه الستة من الكبائر وقع في كلام بعض الشافعية، كأنه أخذ ذلك مما ذكرته من هذه الأحاديث ووجه أخذ القبر مسجداً منها واضح لأنه - يعني النبي ﷺ - لعن من فعل ذلك، وجعل من فعل ذلك بقبور صلحائه شر الخلق عند الله يوم القيامة، ففيه تحذير لنا كما في رواية: «يحذر ما

---

(١) المهذب ١/ ٤٥٦.

(٢) السراج الوهاج ١/ ١١٤.

(٣) الأولى أن يقال: «الكبائر».

صنعوا»[1] أي يحذر أمته بقوله لهم ذلك من أن يصنعوا كصنع أولئك، فيلعنوا كما لعنوا واتخاذ القبر مسجداً، معناه الصلاة عليه أو إليه، وحينئذ فقوله: والصلاة إليها مكرر إلا أن يراد باتخادها مساجد الصلاة عليها فقط، نعم إنما يتجه هذا الأخذ إن كان القبر معظماً من نبي أو ولي كما أشارت إليه الرواية: «إن كان فيهم الرجل الصالح[2]..» ومن ثَمَّ قال أصحابنا: تحرم الصلاة إلى قبور الأنبياء والأولياء... ومثلها مثل: الصلاة عليه، والتبرك والإعظام، وكون هذا الفعل كبيرة ظاهرة، ظاهر من الأحاديث المذكورة، وكأنه قاس على ذلك كل تعظيم للقبر: كإيقاد السرج عليه تعظيماً، له وتبركًا به، والطواف به كذلك، وهو أخذ غير بعيد سيما وقد صرَّح في الحديث المذكور آنفًا بلعن من اتخذ على القبر سرجًا، وأما اتخادها أوثانًا فجاء النهي عنه بقوله ﷺ: «لا تتخذوا قبري

---

(١) البخاري ٧/ ٧٤٧ ح ٤٤٤٣ في المغازي باب مرض النبي ﷺ، مسلم ١/ ٣٧٧، ح ٥٣١ في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد علي القبور من حديث عبيد الله بن عبدالله عن عائشة وابن عباس مرفوعاً.

(٢) مسلم (١/ ٣٧٥، ٣٧٦)ح (٥٢٨) في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور من حديث عائشة رضى الله عنها مرفوعًا.

وثنا يعبد بعدي»[1] أي لا تعظموه تعظيم غيركم لأوثانهم، بالسجود له أو بنحوه، إلى أن قال: فإن أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخادها مساجد أو بناءها عليها والقول بالكراهة محمول على غير ذلك، إذ لا يظن بالعلماء تجويز فعل تواتر عن النبي ﷺ، لعن فاعله، ويجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور إذ هي أضر من مسجد الضرار؛ لأنها أسست على معصية الرسول ﷺ؛ لأنه نهى عن ذلك، وأمر ﷺ بهدم القبور المشرفة وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على القبر ولا يصح وقفه ونذره»[2].

حكم الطواف بالقبر وتقبيله ومسحه باليد:

قال النووي: «ولا يجوز أن يطاف بقبره ﷺ، ويكره لصاق البطن والظهر بجدار القبر، قاله أبو عبد الله الحليمي وغيره، قالوا: ويكره مسحه باليد وتقبيله بل الأدب أن يبعد منه، كما يبعد منه من حضره في حياته ﷺ.

---

(١) أخرجه بنحو هذ اللفظ أحمد ٢/ ٢٢٦ حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا ومالك مرسلاً (١/ ١٧٢) ح (٨٥) وعبد الرزاق في المصنف مرسلاً (٨/ ٤٦٤) من طرق صفوان بن سليم عن سعيد بن أبي سعيد المهري.

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر: ١/ ١٩٥.

هذا هو الصواب الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه، ولا يغتر بمخالفة كثير من العوام وفعلهم، كذلك فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بالأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء، ولا يلتفت إلى محدثات العوام وجهالاتهم وغيرها... ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته؛ لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع وكيف يبتغي الفضل في مخالفة الصواب؟»[1].

وكلام النووي رحمه الله تعالى، فيه دليل على أن أكثر ما يفعله الجهال من العوام في زماننا هو من المحدثات المخالفة للشرع الحنيف، والتي لا ينبغي ولا يجوز التعويل عليها أو الاحتجاج بها، ولا بركة فيها لمخالفتها لشرع الله تعالى.

حكم وضع مظلة على القبر:

قال البغوي: «يكره أن يضرب على القبر مظلة؛ لأن عمر رضي الله عنه رأى مظلة على قبر فأمر برفعها وقال: دعوه يظله عمله»[2].

---

(١) المجموع ٨/ ٢٥٧- ٢٥٨.

(٢) المجموع ٥/ ٢٦٦.

وجاء في المنهاج وشرحه لابن حجر ما ملخصه:

«ويكره تجصيص القبر والبناء عليه... والكتابة عليه، للنهي الصحيح عن الثلاثة، سواءً كتابة اسمه وغيره في لوح عند رأسه أو في غيره، نعم بحث الأذرعيُّ حرمة كتابة القرآن للامتهان بالدوس والتنجيس بصديد الموتى عند تكرار الدفن، ووقع المطر. وندب كتابة اسمه لمجرد التعريف به على طول السنين، لا سيما بقبور الأنبياء والصالحين... قال: ليس العمل عليه الآن، فإن أئمة المسلمين من المشرق للمغرب مكتوب على قبورهم، فهو عمل قد أخذ به الخلف عن السلف، ويرد بمنعه هذه الكلية وبفرضها فالبناء على قبورهم أكثر من الكتابة عليها في المقابر المسبلة كما هو مشاهد، لا سيما بالحرمين ومصر ونحوهما، وقد علموا بالنهي عنه، فكذا هي، فإن قلت: هو إجماع فعل وهو حجة كما صرحوا به قلت: ممنوع بل هو أكثري إذ لم يحفظ ذلك حتى عن العلماء الذي يرون منعه، وبفرض كونه إجماعًا فعليًّا فعمل حجيته كما هو ظاهر عند صلاح الأزمنة، بحيث ينفذ فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد تعطَّل ذلك منذ أزمنة، ولو بني نفس القبر لغير حاجة مما مر كما هو ظاهر - إلى أن قال:

وقد أفتى جمع بهدم كل ما بقرافة[1] مصر من البناء حتى قبة إمامنا الشافعي رضي الله عنه، التي بناها بعض الملوك، وينبغي لكل أحد هدم ذلك، ما لم يخش منه مفسدة فيتعين الرفع للإمام[2].

ولتنظر أيها القارئ إلى مبلغ احتياط هؤلاء العلماء في حماية جانب التوحيد، حتى أفتى جمع منهم بهدم القبة التي على قبر الشافعي رحمه الله وهو من كبار أئمة أهل السنة، فكيف بمن دونه في العلم والفضل، حتى لقد بنيت قباب على قبور أناس غير معروفي الأصل، وليسوا من أهل العلم والفضل، كما حدث عند السيد البدوي، وغيره ممن لهم قباب معروفة مشهورة.

وقال البيضاوي ـ كما في حاشية السيوطي على سنن النسائي ـ: «لما كان اليهود والنصارى يسجدون لقبور أنبيائهم، ويتوجهون إليها تعظيماً لشأنهم، ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة والدعاء نحوها، واتخذوها أوثاناً لعنهم الله، ومنع المسلمين من مثل ذلك. وأصل الشرك إنما حدث

(١) هي المكان الذي يقبر فيه.

(٢) كما في العقد الثمين ص ١٨٦.

من تعظيم القبر والتوجه إليه »[١] .

وقال السويدي الشافعي: فتراهم يرفعونها فوق كل رفيع، ويكتبون عليها الآيات القرآنية، ويعملون لها التوابيت من خشب الصندل والعاج، ويضعون فوقها ستور الحرير المحلاة بالذهب العقيان والفضة الخالصة، ولم يرضهم ذلك حتى أداروا عليها شبابيك من الفضة وغيرها، وعلقوا عليها قناديل الذهب، وبنوا عليها قباباً من الذهب، أو الزجاج المنقوش، وزخرفوا أبوابها، وجعلوا لها الأقفال من الفضة وغيرها خوفاً عليها من اللصوص، كل ذلك مخالف لدين الرسل، وعَيْنُ المحادَّة لله ورسوله، فإن كانوا متبعين فلينظروا إليه، ﷺ، كيف كان يفعل بأصحابه الذين هم أفضل الأصحاب، وينظروا إلى قبره الشريف وما عملت الصحابة فيه »[٢] .

وقال النووي: «إنما نهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً، خوفاً من المبالغة في تعظيمهم والافتتان به، فربما أدَّى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية، ولما احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون

---

(١) حاشية سنن النسائي ٢ / ٤٢ .

(٢) العقد الثمين ص ١٨٥ .

إِلى الزيادة في مسجد رسول الله ﷺ، حين كثر المسلمون، وامتدت الزيادة إِلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة رضى الله عنها مدفن رسولِ الله ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، بنوا على القبر حيطانًا مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد ويؤدي إِلى المحذور، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين، وحرفوهما حتى التقيا حتى لا يُمَكَّنَ أحد من استقبال القبر[1].

وجاء في الباعث في إِنكار البدع والحوادث: ص١٠٣:

«فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ويرجون البراء والشفاء من قبلها وينوطون بها المسامير والخرق، فهي ذات أنواط فاقطعوها».

(١) شرح صحيح مسلم ٥/ ١٣-١٤.

شبهة وجوابها :

لقد استدل القبورية على جواز بناء المساجد على القبور بقصة أصحاب الكهف، حيث اتخذ قومهم لهم مسجداً وأجاب عن هذه الشبهة الحافظ ابن كثير بجوابين :

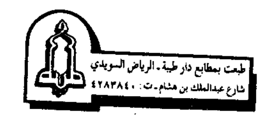
الأول : أن هذا عمل الكفار والمشركين فليس بحجة .

والثاني : على فرض أن هذا عمل المسلمين ولكن هم غير محمودين في هذ العمل(١) .

ومن كل ما سبق يتبين مدى حرص أئمة الشافعية كغيرهم من باقي علماء المذاهب الأخرى، على حماية التوحيد مما يخدش، وكذلك حرصهم على إبعاد كل مظاهر الشرك وإغلاق أبوابها، فحرموا كل ما يؤدي إليه من تعظيم القبور بأي شكل كان، والحلف بغير الله ونحو ذلك، فالعجب ممن ينتسب إلى الشافعي من أدعياء العلم أو غيرهم، ثم يفعل مثل هذه المنكرات ويدعو إليها ويزينها للناس ويبيحها لهم؛ فما أجرأ هؤلاء على مخالفة النصوص، وعلى مخالفة الأئمة الكبار رحمهم الله تعالى .

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٣ / ٧٨ .


طبعت بمطابع دار طيبة - الرياض السويدي
شارع عبدالملك بن هشام - ت : ٤٢٨٣٨٤٠